

العولمة والثقافات الأخرى

بقلم د/ العربي قلايلية

إن هوية أي مجتمع من المجتمعات تتشكل من مجموع الملامح الثقافية والحضارية لدى ذلك المجتمع، وهي عبارة عن أرصدة لا حصر لها أساسها الأعراف والتقاليد والعادات والأديان وأنماط المعيشة، بها تتمايز المجتمعات وتختلف وجهات نظرها في القضايا المطروحة والرؤى المستقبلية إلى الحياة والكون... وإن مجموع الثقافات على اختلاف توجهاتها تسهم في تشكيل مسار الإنسانية قاطبة بأقدار متفاوتة تفاوت العمق الثقافي والحضاري لكل مجتمع.

وإن أي محاولة للاستيلاء على ثقافة أي مجتمع وبأي طريقة (سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو ثقافية) بهدف التأثير في بناء التحية يعني محاولة حرمانه من التمتع بخصائص هويته وسلبه أصالته وتعطيل مساهمته في مسار الإنسانية عامة.

ولقد شهد العالم في هذه العشرية الأخيرة من القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين تطورات علمية وتكنولوجية هائلة في شتى الميادين منها ميدان الاتصالات والمعلوماتية (الانترنت) وكانت هذه التطورات

مرفوقة بمالة من المفاهيم على المستوى السياسي والثقافي والاقتصادي والعلمي كالديموقراطية وحرية التعبير وحقوق الإنسان وقانون حماية الأقليات وحرية السوق...، ولعل أهم هذه المفاهيم هو مفهوم (العولمة).

يأتي لفظ (العولمة) في مقابلة لفظ (mondialisation) الفرنسية أو (globalisation) الإنجليزية، كما يمكن استعمال لفظ (كوكبية) القريب من (glob)⁽¹⁾، والمصطلح الشائع لدى الدارسين العرب (العولمة).

أما مدلولها القاموسي في اللسان العربي فهو مشتق من (عالم)، والعربية تقبل هذا النوع من الاشتقاق، فالعولمة تعني جعل الشيء عالمياً أو نسبته إلى العالم...، ويمكن اشتقاق عدة صيغ أخرى مثل (تعولم)، و(العولمية)، و(عولمة) إلى غير ذلك...

أما دلالاتها الاصطلاحية من حيث المفاهيم المعبرة عنها والجوانب الأخرى المتصلة بها (الثقافية والاجتماعية والفكرية)، فقد خضعت لعدة تعريفات بحسب اهتمامات الباحثين وتخصصاتهم العلمية من ذلك إن (العولمة) تغيير سياسي في النظم العالمية ونقلها من نظام مهيمن متركز إلى آخر تكون فيه القوة والثروة مبعثرة على نطاق واسع، قد تعني عند البعض سيطرة الشركات المتعددة الجنسيات على اقتصاديات العالم، أو تعني الانتقال من المركزية إلى اللامركزية، وقد تعني عندنا تصاعد قوة وسطوة الشركات المتعددة الجنسيات وهو لون من ألوان الهيمنة الاستعمارية الجديدة على العالم بالخصوص العالم الثالث...

كما يمكن ملاحظة أنواع أخرى من المنظومات العولمية منها المنظومة السياسية والإعلامية والاقتصادية...

ظهور المفهوم: ظهر مفهوم العولمة كما سبق في العقد الأخير في القرن العشرين وذلك بعد ائمار النظام الاشتراكي في الاتحاد السوفياتي سابقا ودول شرق اربا⁽²⁾، وظهور الولايات المتحدة كقوة اقتصادية وسياسية وعسكرية مهيمنة على العالم بسبب تدخلها المباشر في جميع القضايا الساخنة على الساحة الدولية، وهذا ما سمح لها بالتحكم في أغلب الأحوال في مسار العولمة وتوجيهها انطلاقا من مصالحها الاقتصادية والتجارية واصبح في وسعها إن تؤثر على مراكز اتخاذ القرارات لدى الهيئات العليا، بل وفي الدول الوطنية والجهات الاقليمية، بحيث اصبحت تشكل عامل ضغط على الجهات الرسمية (الدولية).

ومن هنا أخذت العولمة أشكالاً ومظاهر غير اقتصادية وذلك نتيجة القوة الإعلامية والمراكز الفضائية ومواقع الانترنت، منها السياسية والثقافية والتربوية والسلوكية والبيئية المواردية (الطاقات، الخامات، الماء، الغذاء...)، والعسكرية واللغوية والدينية.

وما يهمننا في هذه العجالة هو الجانب الثقافي للعولمة وما يتصل به من جوانب أخرى ترفده وتقويه.

إن الفصل بين الثقافة بجميع أنساقها (الاجتماعية والسياسية والفكرية...) وبين العولمة قد يؤدي بالباحت إلى مغالطات كبيرة لان هناك

ارتباطا وثيقا بين هذه المجالات وكلها ذات تأثير كبير على السلوك الفرد والجماعات...

وبعبارة أخرى: هل تقبل العولمة أن تكون أنمطا اقتصادية خالصة جديدة في تسيير الأسواق الحرة والمبادلات التجارية أم أنها أنمطا ثقافية أيضا ! وإذا كانت كذلك فهل نتاج تفاعلات اجتماعية خالصة أي أنها سيرورة اجتماعية بالضرورة؟ أم أنها قوالب ثقافية جاهزة تفرضها القوى العالمية على الشعوب الضعيفة باعتبارها بدائل لا مناص منها؟ !

انطلاقا من هنا انقسمت آراء المحللين والباحثين عدة انقسامات، أهمها أن البعض يرى العولمة وما تتشكل منه من انساق اقتصادية في المبادلات والأسواق. مما فيها أسواق النقد ونظام البنوك والمنظمات التجارية العالمية والإقليمية أمرا حتميا ضروريا تفرضه التطورات العلمية والاقتصادية على جميع شعوب العالم، بينما يراها البعض مجرد أشكال من الهيمنة الاستعمارية الجديدة تفرزها مرحلة الليبرالية الجديدة.

وإذا تأملنا الظروف العالمية الراهنة (الاجتماعية والسياسية والاقتصادية) التي توطر العولمة حاليا، وجدناها تنتظم في ثلاثة محاور رئيسية هي :

1-محور التطورات الاقتصادية والتجارية

2-محور التطورات السياسية والعسكرية

3-محور التطورات الاجتماعية والثقافية

وقد ساهمت التكنولوجيا الحديثة (الاتصال والمعلوماتية) في إذكاء التطورات السابقة، فعلى المستوى الاقتصادي مثلا نجد الشركات الكبرى

العالمية والأسواق النقدية والمنظمات التجارية الكبرى تتحكم في اقتصاديات العالم وتؤثر في توجيهها وتفرض عليها شروطها، وعلى المستوى العسكري نجد أن إنهاء الحرب الباردة نتج عنه حروبا ساخنة في عدة جهات من العالم، وعلى المستوى السياسي نجد أن التروح نحو تمرکز القرار قد بدا واضحا من خلال ما تفرضه الدبلوماسية الأمريكية من قرارات في القضايا الحاسمة والحساسة في العالم، لقد رفع الرئيس بوش عند محاربته العراق شعار (من ليس معنا فهو ضدنا).

وهذا لا يعني أن الولايات المتحدة وحدها تصنع هذا النظام العالمي الجديد (العولمة) ولكن يعني بكل تأكيد أن لها اليد الطولى في تكييفه والانتفاع منه بقدر المستطاع وذلك لامتلاكها القوة الاقتصادية والعسكرية والمعلوماتية، وهي المالكة والمشغلة للنظام المعرفي العالمي وتتحكم في كل العملات الصعبة وتستهلك أكثر من جميع الدول، وتزود أغلب دول العالم بالسلع المصنعة، وهيمن على أسواق رأس المال وتمارس الزعامة المعنوية في كثير من المجتمعات، وتتدخل عسكريا وهيمن على الملاحة البحرية، وتطبق أحدث وسائل البحث والتطور التقني المتقدم، وتمتلك تقنيات الوصول إلى الفضاء... إن العولمة باعتبارها ظاهرة كونية لا بد لها من ثقافة تعمقها وتنشر سلوكها في العالم، ولقد نوقش هذا الموضوع في جامعة (DUKE) بلندن سنة 1994 في أربعة محاور هي العولمة والفلسفة، والمحليات البديلة والثقافة والعولمة، والإيديولوجية الاستهلاكية.

ومن أهم العوامل في نشر ثقافة العولمة الشركات المتعددة الجنسيات،
والقنوات الفضائية وشبكات الانترنت التي تدفع الثقافات القومية والمحلية في
اتجاه القيم الاستهلاكية.

وتسعى ثقافة العولمة إلى ترخيص كل ما هو أصيل ووطني، ونزع هالة
الاحترام والتقدير عن القيم الحضارية والدينية للثقافات الأخرى، من ذلك
مثلا تصور وسائل الإعلام الغربية وبالأخص الأمريكية والإنجليزية الحرب
الأولى والثانية على العراق بأنها عملية جراحية تستأصل الداء وتعيد للعراق
الديمقراطية وتخلصه من الدكتاتورية، ولكنها لا تتكلم أبدا عن القصف
العشوائي وقتل الأبرياء وتهديم المنشآت الحضارية والعمرانية لهذا البلد، وإتلاف
بنائه التحتية، ويتلقى العالم أنباء هذا التدمير بكل برودة في جهات كثيرة منه،
يقول روجي غارودي أن النقطة الأساسية لحدود الإمبراطورية الأمريكية هي
الخليج الفارسي/العربي الذي تحيط به أغنى منابع البترول و الذي سيظل عصب
التنمية الغربية لعدة قرون قادمة، وعلى هذا الخط الساخن حققت (وحدانية
السوق) آخر انتصاراتها بتحطيم العراق التي خاضتها الولايات المتحدة بوازع
من جماعتي الضغط، جاء في صحيفة الفيغارو الفرنسية صباح 05 من نوفمبر
1990: إن جماعتي ضغط قويتين تدفعان الولايات المتحدة إلى تفجير الصراع
هما: اللوبي الصهيوني، ولوبي رجال الأعمال⁽³⁾.

وهكذا تصبح القيم الاجتماعية والحضارية والدينية لدى الشعوب في
التهيار متزايد، فالحديث عن بناء الدولة القومية أو الوطنية، والدعوة إلى تحقيق
الاكتفاء الذاتي وتشجيع الإنتاج المحلي وسيادة الشعوب، والإنجازات الكبرى

الصناعية والعسكرية كلها أمور يصبح الحديث عنها ضربا من الحنين إلى الماضي، ويعود الحديث من جديد للتشكيك في هويات الشعوب وحركاتها التحريرية ودينها وتاريخها... فتطرح للنقاش لتحمل تبعات ضعف أهلها وعدم قدرتهم على الابتكار والإبداع، وهكذا تتجه العقول إلى البحث في الثغرات السلبية... ويطغى على وسائل الإعلام العالمية الحديثة عن قوة الغرب المسيطرة...

إن تركز القطبية في الولايات المتحدة الأمريكية بعد إنهاء الحرب الباردة جعلها قوة مهيمنة على القرار الدولي بمساعدة إنكلترا وفرنسا في اتخاذ القرارات الحاسمة، في القضايا السياسية والأمنية، مع ألمانيا واليابان في اتخاذ القرارات الحاسمة في القضايا الاقتصادية⁽⁴⁾.

وهكذا تجد الدول الغربية الاستعمارية في ثقافة العولمة مبررا كافيا لفرض ثقافتها على الشعوب الضعيفة، واستطاعت أن تجلب لها النخبة المؤهلة من أبناء المجتمعات الضعيفة، وحتى الذين انتابهم اليأس من أوضاع بلدانهم واتجهوا في هجرات فردية إلى إحدى المجتمعات الغربية لم يستطيعوا أن يؤثروا في تلك المجتمعات أو يسهموا بآرائهم في تطوير أوضاع مجتمعاتهم بل انساقوا، بل زالوا في خضم الثقافية الغربية.

إن قوة الإقناع التي تتميز بها الثقافة الغربية أدت إلى نزع النخب من ثقافتها الوطنية، وهذا لا يعني إبعادها للاندماج في ثقافة النخبة العالمية الحاملة للعولمة فحسب، ولكن يعني أكثر من ذلك تخفيض الثقافة الوطنية إلى مستوى الثقافات الشعبية أي التواصلية وأبعادها عن حقول السلطة الناجمة السياسية

والاقتصادية والعلمية، ومن وراء ذلك نزع السلطة السياسية والاقتصادية والرمزية عن المجتمعات وإعدادها للدخول في فلك ما يمكن أن نسميه الإمبراطورية العالمية⁽⁵⁾.

أما الفئات النخبوية من أبناء الشعوب المتضعفة التي حافظت على مواقفها الأصلية والأصيلة تبدو محرجة قلقاً ثقافياً واجتماعياً بسبب فقدانها الأمل في بلورة صنيع ثقافي قابل للمقاومة والاستمرارية لأنها بعيدة أو مبعدة من مراكز صناعة الحدث.

إن فكرة التسلط والهيمنة على الشعوب وابتزاز خيراتها التي كانت تطبع الفكر الغربي، إبان عصور الاستعمار هي نفسها التي تطبع سياسة اقتصاد السوق الجديدة. إن شعوب الولايات المتحدة المتزايدة بالحاجة إلى التوسع والهيمنة هو الذي يدفعها إلى التحكم في آليات العولمة، وهذا ما يظهر من خلال التصريحات العديدة لزعمائها ودبلوماسيها، يقول الرئيس بن كلينتون في فيفري 2000 " اليوم في بداية قرن جديد العالم برمته يجد نفسه في مفترق طريق وليس أوروبا والولايات المتحدة والدول الأثرى في آسيا فقط، العولمة تحدث ثورة في الطريقة التي تعمل بها، وربما على أكثر أهمية، الطريقة التي يرتبط كل واحد بالآخر عبر الحدود القومية، فقد انتزعت الأبواب أشادت شبكة اتصالات بين الدول والأفراد، وبين الاقتصادات والثقافات، علينا أن ندرك أولاً أن العولمة جعلتنا جميعاً أكثر حرية وأكثر استقلالاً⁽⁶⁾.

يبدو أن الرئيس الأمريكي يشيد بالعولمة لأنها أعطت الفرد الحرية الكاملة وحررت الشعوب من الدول القومية وبالخصوص في المبادلات

التجارية والثقافية، ولكن عندما رأى مصالح أمريكا مهددة بارتفاع أسعار
البتروال قال في 17 فبراير 2000 لا استبعد أي تدبير يصب في مصلحة
الشعب الأمريكي، إن من مصلحتنا أن تكون هذه الأسعار مستقرة.
هكذا نجد منطلق المصلحة القومية هو الذي يتحكم في مجريات
الأحداث عند الغربيين.

لقد أدرك روجي غارودي حقيقة الأسس التي تسير ثقافة الغرب
وحضارته وحصرها في ثلاث فرضيات هي:

1- أسبقية الفعل والعمل

2- أسبقية العقل

3- أسبقية اللامتناهي أي اللامتناهي الكمي⁽⁷⁾

فالغرب عنده مجرد حدث (l'accident est un accident) لأنه أقام
حضارة على ابتزاز حضارات الغير وبالحصوص الحضارة العربية الإسلامية
ويقدر غارودي انه من المصائب الكبرى للتاريخ المكتوب انه كتب من قبل
المنتصرين الذين يريدون دائما أن يثبتوا أن هيمنتهم كانت حتمية تاريخية أي
أنها ناجمة بالضرورة عن تفوق ثقافتهم وحضارتهم، ولن يكون هناك حوار
حقيقي إلا إذا استطاع الغرب أن يتحرر من عقدة التفوق الحضاري، ويفتح
المجال أمام ثقافات وحضارات الشعوب الأخرى، وعلى أصحاب الثقافات
الأخرى أن يعوا جيدا أن البدائل الثقافية التي يريد الغرب تعميمها على
الشعوب المعمرة ليست إلا وسائل سيطرة وإخضاع تعمل على إضعاف
الثقافات الأخرى وترسيخ إلا مبادلات بالأحداث وتزويد الناس في هوياتهم

وانتماءاتهم الحضارية، ويبدأ في كل شيء أصيل من غير محاولة للفهم والاستيعاب والتطوير، وتغدو المعالم الحضارية الكبرى لدى هذه الشعوب عوامل تفريق وتشتيت واختلاف في الآراء والاتجاهات بعد أن كانت عوامل اتحاد وقوة.

في ضوء النظرية الأحادية إلى مجريات الأحداث المبنية أساساً على سلب ما لدى الآخر يسعى الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية إلى استغلال العولمة وطرحها بديلاً لا مناص منه حتى عاد من السفاهة رفضها، يقرر د. حسن حنفي وهو يتحدث عن ثقافة العولمة أن هناك سيطرة القوى الصناعية الكبرى مثل مجموعة الثمانية على اقتصاديات العالم بمجموعة تحت أغشية نظرية منها العولمة كمفهوم رئيسي ومعه بعض المفاهيم المساندة مثل (نهاية التاريخ)*، وكانت الرأسمالية هي النظام الأوحده للعالم، ونقل الصراع إلى الحضارات الأخرى وإشغال الشعوب غير الأوروبية بالدفاع عن أمور ثقافية وحضارية بعدما عملت على إثارتها، تاركة حاضرها في أيدي قوى (المركز)، إن قضية الدول ليست هي الاستقلال الوطني بل الإدارة العليا والتنظيم وأساليب الحكم التي لا تتطلب بالضرورة خبرة وطنية بل يمكن الاعتماد فيها على الخبرات الدولية من البنك الدولي وصندوق النقد ومنظمات الأمم المتحدة والهيئات الدولية والدول الصناعية المتقدمة، وهكذا تصبح ثروات الشعوب نهباً في أيدي الشركات الكبرى وتتصاعد في هذه المجتمعات موجات البطالة ويصبح من القريب إلى الأذهان نهاية الدولة القومية أو الوطنية نظراً لاتفاقية (القات)** وتزداد حرية التصدير والإستيراد وتفرض مفاهيم

جديدة على الشعوب الضعيفة لا أساس لها في الواقع وتصبح دول العالم الثالث منفعة انفعالا سلبيا بما يجرى في العالم وتستثمر أفكار مساعدة مثل (المجتمع المدني، والجمعيات، وحقوق الإنسان، وحقوق الأقلية، وحقوق المرأة....) وكلها مصطلحات براقة ولكنها تهدف إلى تفكيك الدول الوطنية، في حين أن هذه الشعارات التي يرفعها الغرب كان هو الذي انتهكها أزمانا طويلة ومازال، فمن الذي انتهك حرمان الشعوب واستغلها وشردا وهدم بناها الاجتماعية أليس هو الغرب؟ ! ومن كان يناد بالتسويق والعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان، وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها، والتوزيع العادل لثروات العالم أليس هو العالم الثالث، فمن أباد حضارة الهنود الحمر، وساق الأفارقة إلى أسواق النخاسة، وهدم البنى الاجتماعية لشعب بكامله (الشعب الفلسطيني) ودمر المركز الرمزي للحضارة الإسلامية في بغداد بعد هولوكو، أليس هو نظام الأمريكي الذي يدعي انه يرفع حقوق الأقليات وحقوق الإنسان، فالعولمة في جوهرها صراع بين المركز والأطراف بين الدول الغنية والفقيرة بين الشمال والجنوب، بين الاستعمار والتحرير بين الهيمنة والاستقلال، هي النقلة النوعية للاستعمار والإمبريالية الأمريكية من السفور والمباشرة إلى طور اعمق من الاستحواذ الثقافي والاقتصادي والسياسي على الشعوب الضعيفة، بوسائط أهمها التطور التكنولوجي الهائل في مجال الانترنت والمعلوماتية والاتصال وشبكات البث الفضائية، واستقلال موارد الطاقة والنفط من قبل الشركات الكبرى المزروعة في أنحاء العالم حيث اليد العاملة

الرخيصة⁽⁸⁾، فالعولمة تعبير عن رغبة دفينية في اللاشعور الغربي لإحياء الأمجاد الغربية المتمثلة في الاستعمار القديم في شكل جديد اتخذ الاقتصاد شعارا له. إن تسارع الأحداث وتطورها جعل أمريكا نفسها تخاف من مغبة تماذيتها في سياسة الهيمنة والاستحواذ.

الثقافات الأخرى والتعاون الاقتصادي:

ماذا بعد العولمة؟ وما هي فائدة الغرب وأمريكا على وجه الخصوص عندما يتحقق مبدأ الديمقراطية الذي تنادي به؟ وهل ترضى أمريكا أن تكون على قدر المساواة في الواجبات والحقوق الدولية عندما تعم الديمقراطية بقية دول العالم؟ بل هل ترضى أمريكا بوجود منافسين لها؟

إن الهيمنة الأمريكية في جوهرها نابعة من نقطة تخوف كبيرة وتذكر الدوائر السياسية والدبلوماسية في أمريكا هذه الحقيقة جيدا، أصبح الميزان التجاري الأمريكي سنة 1990 يعني نقصا يقدر بـ 100 مليار دولار، في سنة 2000 وصل العجز إلى 450 مليار دولار وهذا ما جعل أمريكا تعتمد على اقتصاديات الدول الأخرى وتبتر خيراتها بشق الطرق لسد النقائص إلى تواجدها، فالعولمة بالنسبة إليها ذات وجهين وجه ديمقراطي ينادي بحرية التجارة وتحرير الأسواق ووجه آخر مصلحي ذاتي يفهم من تصريحات زعمائها ومحتواه نابع من الخوف الذي يتناها " ويتخذ في معظم الأحوال صفة إلا تأكيد المضاد، وهكذا نجد مادلين أولبرايت ووزير خارجية إدارة بن كلينتون في معرض تبريرها لضرب الصواريخ الأمريكية على العراق تقول: إذا

كان علينا أن نستخدم القوة فإنما ذلك لأننا أمريكا نحن الأمة التي لا غنى عنها، ونحن ننتصب بقمة عالية ونرى ابعده من غيرنا آفاق المستقبل"⁽⁹⁾.

وهكذا فإن الديمقراطية التي يريدها منظرو اقتصاد السوق هي التي تبيح فقط لأرباب المال والأعمال أن يحققوا المزيد من الأرباح على حساب تزايد الفقر والحرمان بين فئات الشعب، لذلك يقول نعوم تشومسكي في كتابه (ضبط الرعاع) " أي تشكل من أشكال السلطة المركزة مهما كان لا ينوي أن يكون عرضتا للسيطرة الديمقراطية الشعبية، ... إن القطاعات القوية بما فيها أصحاب الثروة المتحدين معارضون بشكل طبيعي للديمقراطية العاملة ... أهم لا يريدون قيودا خارجية على قدرتهم لاتخاذ القرارات والتصرف بحرية، وذلك يستلزم أن تكون النخب غير ديمقراطية بشكل مفرط"⁽¹⁰⁾.

والملفت للانتباه أنه توجد الآن تنظيمات اقتصادية وتجارية وسياسية في العالم ذات نزاعات إقليمية منها في أوروبا الحلف الأطلسي، والاتحاد الأوروبي وهما نتاج للثقافة الأوروبية المشتركة، ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا، وخارج أوروبا يوجد منظمة جنوب شرق آسيا (ASEAN) وهي منظمة متعددة الثقافات فعالة، وفي سنة 1993 أنتجت هذه المنظمة ميدانا فسيحا وهو المنتدى الإقليمي لمنظمة دول جنوب شرق آسيا ويظم روسيا والصين وفيتنام ولاوس وغينيا الجديدة، وتمخض عنه منظمات أخرى أهمها (EAEC) (التجمع الاقتصادي الشرق آسيوي) ويشمل كل دول منظمة جنوب شرقي آسيا وتايوان وهونكونغ وكوريا الجنوبية والأكثر أهمية الصين واليابان ويؤكد محاضير محمد بان هذا التجمع متجذر في الثقافة المشتركة وينبغي النظر إلى هذا

التجمع على انه ليس مجرد جماعة جغرافية لأنها تقع في شرق آسيا ولكن أيضا كمجموعة ثقافية....الأوروبيون يحتشدون معا والأمريكيون يحتشدون معا، نحن الآسيويين علينا أن نحتشد سويا كذلك⁽¹¹⁾، وخاطب اليابانيين "إنكم لا تستطيعون تجاهل هذه الحقيقة الجغرافية الثقافية، انتم تنتمون إلى هنا"⁽¹²⁾، وفي أمريكا منظمة نافتا (NAFTA) _ اتفاقية التجارة الحرة الأمريكية الشمالية⁽¹³⁾.

أما بالنسبة إلى الأمة العربية والإسلامية فان هناك وعيا إسلاميا متزايدا وانتماء حضاريا واحدا لدى هذه المجتمعات اخذ يتزايد ويأخذ أشكالا متميزة بالنظر إلى غيره من الحضارات وذلك بسبب تصاعد الموجات العرقية والعنصرية الوافدة من الغرب.

وبسبب وطأة سياسة اقتصاد السوق وثقافة العولمة، غير أن المشكل المطروح هو أن هناك تنافس بين مراكز القوة التي يحاول كل مركز منها الانفراد والهيمنة على الهوية الإسلامية، فقد أنشأت السعودية منظمة المؤتمر الإسلامي لتجابه الجامعة العربية، وبعد حرب الخليج أنشأ الزعيم السوداني حسن الترابي المؤتمر الشعبي العربي الإسلامي كنقيض منظمة المؤتمر الإسلامي، بالإضافة إلى الأحداث التي اجتاحت العالم العربي والإسلامي في الآونة الأخيرة، وهكذا فان الدول العربية التي ينبغي أن تكون لها الريادة في المجتمع الإسلامي تعاني ثقلا متزايدا وعدم القدرة على التموقع داخل المنظومة العالمية لا اقتصاديا ولا سياسيا ولا ثقافيا.. لان الصراع الحقيقي اليوم يتمثل في الرهان على التحكم في موارد وشبكات الثروة التقنية والعلمية، ومن خلال

ضمان القيادة العالمية والتحطم في القرار الدولي، ومن وراء ذلك تأمين فرص التفوق التقني والعلمي والاقتصادي، ومجتمعاتها العربية والإسلامية تملك من الوسائل التماسك الحضاري والثقافي ما يكفي لان يجعلها تتحد وتبرز في كتلة عالمية لها وزنها الاقتصادي⁽¹⁴⁾، ومجتمعاتنا العربية والإسلامية تملك من وسائل التماسك الحضاري والثقافي ما يكفي لان يجعلها تتحد وتبرز في كتلة عالمية لها وزنها الاقتصادي والتجاري على المستوى العالمي، وهذا لن يأتي إلا عن الشعور بالذات ووعي الأحداث ومجرياتهما العالمية، والسعي نحو بلورة حلول مبدعة وجديدة لمشاكلنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية.

إن إعادة بناء الذات يجب أن يبدأ أولاً من موروثنا الثقافي والحضاري، لا للدفاع عنه فقط والتعني به، ولكن على اعتباره كونه مرتكزا أساسيا في جميع أعمالنا وإبداعاتنا الحضارية والفكرية، وان نتحرر من وسائل الدفاع البالية ومن عقدة (أهم أقوى منا...)، (إذا لم تقدر عليهم فانضم إليهم) و"إن المهمة الأولى للمثقفين هي كشف الأكاذيب التي تسود المراجع المدرسية ووسائل الإعلام وهما اللذان يخدمان الغرب للإبقاء على هيمنته بإيديولوجيات مغالطة عن أحداثه، وليس ثمة افتراض واحد عن تلك الحادثة المزعومة لا يعد افتراء وكذبا"⁽¹⁵⁾.

إن الحيرة التي نتابنا الآن هي كيفية الخروج من دائرة التخلف بجميع أشكاله ومجالاته، ونحن متخلفون فعلا في جميع الميادين قياسا إلى غيرنا وحتى لا تبقى صورتنا مخنطة في ثنايا التاريخ لابد على النخب بمختلف اتجاهاتها وتخصصاتها من أن تعتمد العمل الجماعي المدعوم بالمنهج العلمية الحديثة

والمبني على أسسنا الحضارية ودعائم هويتنا، إن الرصيد الحضاري للامة العربية والإسلامية كان العامل الأساسي في نقل العالم الغربي من ظلام القرون الوسطى إلى عصر التنوير والازدهار العلمي والبحث الجاد، هذه حقيقة لا ينبغي أن نزهدنا فيها وضعيتنا الحالية المزرية، ولا ينبغي الإيمان بالتقدير الزماني للهوة بين الـ (نحن) و (الآخر) والسلام.

الهوامش

- 1- ينظر العولمة (كوكبية) منهاجاً ونظرياً وتطبيقاً د. معن النكري دمشق ط 2003/ ص: 09
- 2- ينظر ما العولمة د. حسن حنفي و د. صادق جلال العظم دار الفكر بيروت ط 1999/1 ص: 11
- 3- امريكا طليعة الانحطاط روجي غارودي دار الشروق ط 2002/3 ص: 27
- 4- صدام الحضارات صموئيل هنتنغتون ص 167
- 5- ينظر ثقافة العولمة وعولمة الثقافة د. برهان غليون ، د. سمير امين دار الفكر بيروت ط 2002/3 ص: 41
- 6- العولمة واقتصاد السوق الحرة د. ضياء مجيد الموسوي ديوان المطبوعات الجامعية ص: 145
- 7- ينظر حوار الحوارات ترجمة روجي غارودي ترجمة عادي العوى ص 286 ملحق.
- *- نظرية نهاية التاريخ لفوكورياما تعود الى الاعوام (1989-1992)، ويرى ان للتاريخ اتجاهها، وان نقطة الوصول هي انتشار الديمقراطية الليبرالية على مستوى العالم وان الخيار الشيوعية وسقوط الانظمة الشمولية في اوربا الجنوبية (البرتغال واسبانيا واليونان) مرحلة في مسيرة الحرية الانسانية ، وهذا نظير الفكرة الماركسية التي ترى نهاية التاريخ مع سيادة النظام الشيوعي العالمي، ينظر ما بعد الامبراطورية إيمانويل تود ترجمة محمد زكريا اسماعيل دار الساقى بيروت ط 2003/1 ص: 34
- ** - (GATT) الاتفاقية العامة للتعرفة والتجارة نشأة 1948 كاتفاقية تجارية متعددة الاطراف وتعمل على توفير الاطار القانوني لامكانية التجارة الدولية و العلاقات التجارية معتمدة على حقوق واتفاقات والتزامات بين الدول الاعضاء مقررها جنيف، وتعمل في ظل منظمة التجارة

- العالمية (WTO) هي إحدى المراكز الأساسية بالإضافة إلى الصندوق والبنك الدوليين للعملة الاقتصادية ينظر الكذبات العشر للعملة جيرالد بوكسيرغر وهالد كليمتا ترجمة د.عدنان سليمان ط 1999/1 دار الرضا للنشر ص: 50
- 8- ينظر ما العملة د.حسن حنفي و د.صادق جلال العظم ص277 وما بعدها.
- 9- ما بعد الامبراطورية ايمانويل تود ص: 36 تمهيد
- 10- ضبط الرعا ناعوم تشومسكي ترجمة هيثم علي حجازي لبنان 1997 ص 228
- 11- ينظر صدام الحضارات ص: 250
- 12- صدام الحضارات ص: 250
- 13- ينظر ضبط الرعا ص: 191
- 14- ينظر ثقافة العملة وعولمة الثقافة ص: 39
- 15- امريكا طليعة الانحطاط ص: 146

